جميلةً دُعيت منهُ بكاملها لكن جمالًا صحيحًا كامل العللِ
وكيفَ قد دُعيت مملوَّةً نعمًا ان فاتها العفوُ في ذا الحادث الجلَلِ
باري البرايا أتتنا في تجسدهِ كل العطايا ولم نطلب ولم نَسَلِ
فكيفَ يحرم امًّا خيرَ موهبةٍ وكيف يسكن بيتًا غير مكتملِ
ام كيف يترك روحًا تلتقي دنسًا وجسمها قد حماهُ المسَّ من رُجلِ
هذي تقاليدنا من عهد صبغتنا ونطقُ آبائنا في ذا الخصوص جلي
هذي العقيدة قد صارت متوَّرةً من غير ريبٍ ولا ردٍّ ولا جدَلِ
خمسون عامًا عليها اليوم قد عبرت واليوم يوبيلُها في كلِّ محتفلِ
اليكِ يا رومةُ العظمى مطوَّقةً زجلتُها من حمام الشرق عن زجلِ
تحمَّلت في جناحيها عواطفنا من عهد آدم من موسى من الرسلِ
خمسين بيتًا اقلَّت طيَّ معطفها تُهدى الى لجنة الخمسين بالبدلِ
وذكرُ يوسَ في فيها تردّدهُ ترديدَنا الدهرَ يا سلطانة الحبَلِ

(المشرق) نشكر لسيادة العلّامة المنسيور يوسف الملم على تريثهِ صحائف مجلّتنا بهذه القصيدة الغرّاء ونتمنّى انَّ هذه الحمامة ترفُّ الى ربّان السفينة البطريركيَّة غصنًا مخبرًا يكون رمزًا عن السلام والاتحاد بين الكنائس الشرقية والغربيَّة اذ انّما كلّها صوتٌ واحد في تبجيل العذراء الطاهرة واكرامها على اختلاف المذاهب والطقوس

الخزاعل والهيازعة او خزاعة الحالية

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرمليّ

١ توثير ونظر عامّ

ما زال العراق في القدم الى الان مندقّ بلاد العرب. واذا تفقدتَ جميع قبائل العرب العظمى التي نبغت في جزيرة العرب وتفقّدتَ تاريخ غزوها وظعنها والبلاد التي تراتها او الديار التي ارتادتها فانك لا ترى واحدةً منها الّا وقد وطئت عصرًا من اعصارها هذه البلاد القديمة التي كان قد ارتحل اجدادهم منها. فكأنَّ نفوسهم تحنّ الى اوطانهم حنين الناقة الرؤوم الى فصيلها. وكثيرًا ما بحثتُ عن هذا الموضوع فلم يكذب ظني الّا في النادر. ولعلَّ سبب هذا الكذب قلّة ما بيدي من المصنّفات الدائر

محورها على هذا البحث الجليل. هذا ومن عداد ما كنتُ اتوهّم اني لا اعثر عليه ابد الدهر هو تاريخ قبيلة خزاعة وما آل اليه امرها وما حلّ ببقيّتها ولذا بقيتُ اتتبّع آثارها تتبُّع القانف حتى انقطع مني نياط الامل منذ خمس سنوات على اثر ما طالعتهُ في دائرة المعارف للبستاني. فقد ألفيتُ صاحبها لا يذكر عن هذه القبيلة الجليلة الّا الشيء النزر التّافه ولم يتعرض لمصيرها بل ولم يذكر عن مبادئ امرها ذكرًا وافيًا مع ما كانت عليه خزاعة من المكانة وأهمية الشأن في تاريخ اخبار العرب. وكُنّا نتوقّع من صاحب الدائرة بحثًا مطوّلًا في هذا العدد يليق بها لان صاحبها وضعها خصوصًا لابناء العرب من المشارقة وتاريخ اقوامهم واحداثهم واديانهم الى غير ما هنالك من المواضيع الجامعة بين اللذّة والفائدة فكيف اكتفى اذن بالقبض عن البيض وبالبيض عن القبض ؟

على انّ ما لم نستفدهُ من المطالعة والبحث اهتدينا الى ضالتنا نبيًا. وذلك اني بُعثتُ في اواخر نيسان من السنة المنصرمة الى لحاء خراسان في مهمّة دينية وبينما كنتُ اتقصّى في وقت الفراغ في احوال اعراب تلك الارجاء قيل لي ان اسمهم « الهَيازعة » واذ لم اكن قد سمعت بهذه اللفظة اعدتُها على مخاطبي ثلاثًا حتى تاكدتها. ولمّا لم ارَ وجه تسمية هؤلاء الاعراب بهذا الاسم قال لي احدهم ولم يكن يعرف من علوم العربية شيئًا: « انّ اسمنا مأخوذ من قولك هزعتُ الشيء اي قطعتهُ » — قلتُ له: واي مناسبة بين هذا الكلام وبين وجه تسميتكم ؟ — قال: اصلنا نحن من الازد من بني كهلان. ولمّا كان سيلُ العرم وتفرّقت قبائل اليمن في البلاد انفصلنا عن اصحابنا واقمنا في مكّة بينما كان الغير يتوغلون في بلاد الله في كل وجهة. فسُمّينا « خُزاعة ». — ومن الازد ايضًا قبيلة اخرى لم تحبّ الامعان في الديار فاقامت في نصف الطريق بين اصقاع اليمن ومدن الحجاز فسُمّيت « العِزّة » لان نفوسهم عزّت عليهم خوفًا من مشقّة السفر. — فلمّا سمعتُ منهُ هذا الكلام تذكرتُ ما قال العرب ومؤرخوهم عن خزاعة وعن تسميتهم بهذا اللفظ فقلتُ في نفسي: اي لعمري ان هذا المسهم من هذا النّبع. ثم قلتُ لهُ: وهل لك يا ابن العرب ان تنتسب اليّ. قال: دونك. فاني أُسمّى نُصيف بن جاسم (اي قاسم لان لفظ القاف غير موجودة عند الاعراب بلفظها العامّ) بن محمد بن خنجر بن شهاب بن حمد بن الحُميّد بن غالب بن الكبش (الفظها

البحش على اللفظ البدوي) بن الدُوَيم من ألبو هيازع (ألبو منحوتة من آل أبو اي آل أبي هَيازع) الذي يتصل نسبهُ باحد بني المُصطلق بن كعب (الفظها چعب) بن عمرو بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيقيا بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد . فلمَّا سمعتُ انهيال هذه الاسماء وانهيار جرفها على مسامعي بُهتُّ . الَّا انهُ لمَّا لم يكن بيدي كتاب لاتحقَّق صحَّة سرد تلك الاعلام ولمَّا لم أجد في تلك الاصقاع ادنى اثر لكتاب من الكتب سوى القرآن اعدتُ على صاحبي ذكر تلك الاسماء وكتبتها واحدًا بعد واحد ضابطًا اياها ضبطًا محكمًا لأتثبَّت الامر بعدئذٍ . ثم قلتُ لهُ : وهل انت وحدك تحفظ نسبك هذا ؟ — قال : بل ويوجد غيري الَّا انَّ حافظتهم دون حافظتي اتساعًا . ثم التفتَ نحو صبيٍ وقال لي : واسأل هذا الوليد عُبَيْدك . فنظرت الى الصبي فاذا هو لا يتجاوز عمره خمس السنوات . فقلت اصُوَيحبي : من انت وما اسمك ؟ — قال : انا جاسم (قاسم) بن محمد بن لُطَيف بن الصالح بن خنجو بن شهاب . فقلتُ لهُ : إيهِ . قال : الى هنا ينقطع بي علمي . فقضيتُ العجب من هذا الوليد الذي لا يكاد يستطيع ان يلفظ لفظًا بيّنًا الَّا وقد انفتق لسانهُ بهذه الاسماء التي لا يفهم منها شيئًا

ومن عادة هذه القبيلة ان يُلقِّن الآباء ابناءهم حفظ انسابهم الى الجدّ السابع على الاقلّ

وقد علمتُ من غير صاحبي المذكور انَّ لخزاعة فخذًا آخر يُعرف الآن باسم « الخزاعل » وموطنهم ديار خانقين وعَقَبة (١ ودَغَارة

هذا ولمَّا وقفتُ على هذه الحقيقة وهي ان الهازعة والخزاعل هم من بقايا خزاعة اخذتُ بتعليق فوائد في مقيدتي وافرغت كل ما في وسعي بارغًا لهذه الغاية لمَّا كنتُ سابقًا قد اغربتُ جياد العزم في تحصيل حقيقة امر هذه القبيلة الطائرة الذكر وبالخصوص لعلمي ان هذه القبيلة مجهولة عند ارباب الأقلام اذ لم اسمع بها سابقًا ولم اجد لها ذكرًا في كتب المحدثين من عرب او افرنج ولذا صمَّمت على جمع ما تشتَّت في كتب العرب

---

١) عَقُبة هي عقك بالكاف الَّا ان بعض الاعراب يلفظون الكاف جيمًا كما ذكر ذلك السيوطي في المزهر (١ : ٩٠)

من اخبار هذه القبيلة في السابق وما وقفتُ عليه في الحاضر لفتًا للثوبين او مطارقة بينهما

الّا اني قبل ان أُجري جواد القلم في ميدان هذا الموضوع اسألك ان تدعني ان اقول لك شيئين: الاوّل: ان البطن الذي سمّاهُ صاحبي نُصَيف بالعِزّة لم ارَ لهُ اثرًا في مؤلّفات العرب القديمة وان كانت موجودة الآن في ديار خراسان بهذا الاسم. ثانيًا اني قد بحثتُ في دائرة المعارف عن خزاعة فوجدتها تقول في نسبهم ما حرفهُ: « خزاعة بن عمرو بن لُحَيّ بن عامر بن قمعة بن الياس بن مُضر » مستشهدًا في ذلك بكلام بعض الائمة الّا اني لا أرى كيف ينطبق هذا النسب على خزاعة اذ المشهور عنهم انهم من عرب اليمن من بني كهلان لا من بني عدنان (١ وانهم غادروا بلاد اليمن في عهد سيل العَرِم كما ياتي ذكرهُ بعيد هذا. فكيف يُعتمَد على كلام من يقول انهم من مضر اي من عدنان. فلا مراء ان الوهم ظاهر. وعلى كلٍّ فان تاريخ العرب في غاية الاضطراب. فانك لا تكاد تقع على شيء منهُ كالقرار. بل كأنهُ يُشبه السَّراب. تظن انك قد قاربت منهُ الجوار. وما انت الّا في ابتعاد واغتراب. والله وحدهُ اعلم بالصواب

٢ موطن خزاعة الاصلي وتفرُّقهم

قال البلاذري (ص ١٥): « ان من كان باليمن من وُلد سبأ بن يَشجُبَ بن يَعرُبَ بن قحطان بَغَوا وطغوا وكفروا نعمة ربّهم فيما اتاهم من الخصب ورفاغة العيش فخلف الله جرذانًا جعلت تنقب سدًّا كان لهم بين جبلين فيه انابيب يفتحونها اذا شاؤوا. فيأتيهم الماء منها على قدر حاجتهم وارادتهم. والسدُّ العَرِمُ. فلم تزل تلك الجرذان تعمل في ذلك العرم حتى خرقتهُ فاغرق الله تعالى جناتهم وذهب باشجارهم وابدلهم خمطًا واثلًا وشيئًا من سدر قليلًا. فلما رأى ذلك مُزَيقيا. وهو عمرو بن عامر ابن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك

(١ قولنا هذا يُطلق على الاغلبية والّا ففي اليمن عرب من عدنان ذكرهم التاريخ منهم بنو أعفار. قال ابو الفداء (١ : ١١١) ما نصُّهُ: اعفار بن نزار ومضى اعفار الى اليمن فتناسل بنوهُ بتلك الجهات وحُسِبوا من العَرَب اليمانية. اهـ

ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان باع كل شيء له من عقار وماشية وغير ذلك ودعا الازد حتى صاروا معهُ الى « بلاد عَكّ » فاقاموا بها . وقال عمرو : « الانتجاعُ قبل العِلم عَجزٌ » . فلما رأت عكٌ غلبة الازد على اجود مواضعهم غنمها ذلك فقالت للازد : انتقلوا عنّا . فقام رجلٌ من الازد أعور اصمّ يقال له جذعٌ فوثب بجماعة منهم فقتلهم ونشبت الحرب بين الازد وعكّ فانهزمت الازد ثم كرّت فقال جذعٌ في ذلك :

نحن بنو مازنَ غير شكٍّ غسّانُ غسّانَ وعكٌّ عكّ
سَيَعْلَمُون أيْنَا أرَكّ

« وكانت الازد نزلت بماء يقال له غسّان فسُمّوا بذلك . ثم ان الازد صارت حتى انتهت الى بلاد حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فقاتلوهم فظهرت الازد على حكم . ثم انهم بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا وبقيت طائفة منهم معهم . ثم اتوا نجران فحاربهم اهلها فنُصروا عليهم فاقاموا بنجران ثم رحلوا عنها الّا قوم منهم تخلّفوا بها لاسباب دعتهم الى ذلك فاتوا مكّة واهلُها جرهُم فنزلوا بَطنَ مَرّ وسأل ثعلبةَ ابن عمرو مُزَيقيا جرهمَ ان يعطوهم سهل مكّة فابوا فقاتلهم حتى غلب على السهل . ثم انهُ والازد استوبأوا مكانهم ورأوا شدة العيش به فتفرّقوا فاتت طائفة منهم عمان وطائفة السَّراة وطائفة الانبار والحيرة وطائفة الشام واقامت طائفة منهم بمكّة . فقال جذعٌ : كلّما صرتم يا معاشر الازد الى ناحيةٍ انخزعت منكم جماعة . يوشك ان تكونوا أذنابًا في العرب . فسُمّي من اقام بمكّة خزاعة » . اه بحروفه

قلتُ : واما طائفة الازد التي اتت الحيرة فقد تنصّرت وعُرفت باسم العباد . وقام منهم علماء وشعراء يُشار اليهم بالبنان الّا ان العباد لم يكونوا من الازد فقط بل من قبائل شتّى

٣ نسب خزاعة الحقيقي

قد رأيت مما تقدّم نسب خزاعة على ما ذكرهُ البلاذري فاسمع الآن ما يقول لك ابو الفداء في تاريخه (١ : ١٠٧) : « قد اختُلِفَ في نسب خزاعة بين العدنانية واليمانية . والاكثر انها يمانية . والذي تُنسبُ اليهِ خزاعة هو كعب بن عمرو بن لُحَيّ بن حارثة

ابن عمرو مُزَيقيا بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ».
وقد قال في صدر الفصل عن نسب الازد ما حرفهُ : « امَّا الازد فهم من وُلد الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ ». اه وانت تعلم ان سبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان كما هو مشهور . وعليهِ فالازد يمانيةٌ او قحطانية

خزاعة في مكَّة

قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٣٨٥) : « والخُزع عنهم (اي عن الازد) عند خروجهم من مأرب حارثة بن عمرو مُزَيقيا بن عامر ماء السماء وهو خزاعة فافتتحوا الحرم وسكانهُ جرهُم . وكانت جرهُم اهل مكَّة فطغَوْا وبغَوْا وسنُّوا في الحرَم سُنَنًا قبيحةً . . . فاحبَّ الله تعالى ان يُخرج جرهمًا من الحرَم لسوء فعلهم . فلمَّا نزل عليهم خزاعة حاربوهم حربًا شديدًا فظفَّرَ الله خزاعة بهم فنفَوا جرهمًا من الحرم الى الحلّ فنزلت خزاعة الحرَم . ثم ان جرهمًا تفرَّقوا في البلاد وانقرضوا ». اه

وهكذا وليت خزاعة امر مكَّة وحجابة الكعبة . « وسأل بنو اسماعيل السُكنى معهم فاذنوا لهم . وتملَّك عليهم لُحَيٌّ وهو ربيعة ابن حارثة وكان فيهم شريفًا سيِّدًا مُطاعًا . وبلغ بمكَّة من الشرف ما لم يبلغ عربيٌّ قبلهُ . وكان قد ذهب اسمهُ في العرب كلَّ مذهب وقولهُ فيهم دينًا متَّبعًا . وكان اول من اطعم الحاجَّ بمكَّة سدائف الابل ولحمانها على الثريد . وعمَّ في تلك السنة جميع حاجِّ العرب بثلاثة اثواب من بُرُود اليمن وهو الذي بَحَرَ البَحيرَةَ ووصل الوصيلة وحمى الحامي وسيَّب السائبة ونصب الاصنام حول الكعبة . فكانت قريش والعرب تستقسم عندهُ بالازلام . وهو اول من غيَّر الحنيفية دين ابرهيم . — واقامت خزاعة ثلاث مائة سنة في سدانة البيت حتى قام قصيٌّ القُرَشيّ من بني اسماعيل . وعظُمَ شرفهُ فرأى انهُ احقُّ بالكعبة وبامر مكَّة . وكانت ولاية الكعبة لابي غبشان الخزاعيِّ . فباعها من قصيّ بزقّ خمر فقيل فيهِ : « أخسرُ من صَفقَةِ أبي غبشان ». ثم دعا قصيٌّ اليهِ رجالاتِ قريش وأجمع لحرب خزاعة . فتناجزوا وكثر القتل ثم صالحوهُ على ان يحكموهُ الكعبة . فصار لقُصَيّ لواء الحرب وحجابة البيت وتيمَّنت قريش برأيهِ وصرفوا مشورتهم اليهِ في قليل امورهم وكثيرها . فاتخذوا دار

الندوة ازاء الكعبة فكانت تجتمع الملا من قريش في مشاوراتهم ومعاقدهم . ثم تصدى لاطعام الحاج وفرض على قريش خراجاً يؤدونه . ثم هلك قصيٌّ وقام بامره بنوه من بعده بالقيادة في كل موسم حتى جاء الاسلام » (عن بجاني الادب ٣ : ٣١٥ وهو ملخص عن كتاب اخبار مكة للازرقي)

٥ اسلام خزاعة

قال البلاذري (ص ٣٥) : « لما قاضى رسول الله صلعم قريشاً عام الحديبية وكتب القضية على الهدنة وانهُ مَن احبَّ ان يدخل في عهد محمّد صلعم دخل . ومن احبَّ ان يدخل في عهد قريش دخل . وانهُ مَنْ اتى قريشاً من اصحاب رسول الله صلعم لم يردّوهُ ومن اتاهُ منهم ومن حلفائهم ردَّهُ . قام من كنانة فقالوا : ندخل في عهد قريش وذمتها (وفي الاصل المطبوع ومذتها وهو غلط) وقامت خزاعة فقالت : ندخل في عهد محمّد وعقده . وقد كان بين عبد المطّلب وخزاعة حِلف قديم فلذلك قال عمرو بن سالم ابن حصيرة الخزاعي :

لا هُمَّ إني ناشدٌ محمّدا حِلْفَ أبينا وابيه الأتلدا
[فانصُرْ هداكَ اللهُ نصرًا أيّدا وادعُ عباد الله يأتوا مددا]

ثم ان رجلًا من خزاعة سمع رجلًا من كنانة ينشد هجاء في رسول الله صلعم فوثب عليه نشجَهُ فهاج ذلك بينهم الشرَّ والقتال . واعانت قريش بني كنانة وخرج منهم رجال معهم فبيّتوا خزاعة (اي اوقعوا بهم ليلًا) فكان ذلك مما نقضوا به العهد والقضية . وقدم على رسول الله صلعم عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي يستنصر رسول الله صلعم فدعاهُ ذلك الى غزو مكّة . » اهـ . وكانت الوقعة بين كنانة وخزاعة في سنة سبع من الهجرة (ياقوت ٤ : ٩٠٣)

٦ ذكر بعض وقائع من تاريخ خزاعة القديم

اشهر هذه الوقائع واقعة دخولهم الحجاز ثم مناجزتهم لكنانة وقد مرَّ ذكرهما . ثم هجوم قيس بن عيلان عليهم . قال صاحب الاغاني (في ١٣ : ٣) ما نصّهُ : « زعموا ان قيس بن عيلان رغبت في البيت وخزاعة يومئذٍ تليهِ . وطمعوا ان يجرموهُ منهم فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني — الى مكّة في جمع لهام فخرجت اليهم خزاعة فاقتتلوا فهزمت قيس » اهـ

ومن هذه الوقائع الشهورة إغارة هوازن عليهم. قال الاصبهاني (١٣ : ٤) : « واغارة هوازن على خزاعة وهم بالحصب من منى. فاوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العَنقاء. وبقوم من بني ضياطر فقتلوا منهم عبدًا وعوفًا وأقرَم وغُبشان ». اه

ومن اخبارهم إغارتهم على اليمامة: قال ابو الفرج الاصبهاني (١٣ : ٥) : « ان خزاعة اغارت على اليمامة فلم يظفروا منها بشيء فهُزموا وأُسر منهم اسرى. فلما كان اوان الحج اخرجهم من اسرهم الى مكّة في الاشهر الحرم ليبتاعهم قومهم فقدوا جميعًا الى الحُلفاء. وفيهم قيس بن الحدادية فأخرجوهم وحملوهم وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم فمرَّ بهم عديّ بن نوفل فاستجاروا به فابتاعهم واعتقهم ». اه

ومما يذكر عن بطون منهم انهم « خرجوا جالين الى مصر والشام لانهم اجدبوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق رأوا البوارق خلفهم وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير الى اوطانهم ». (اه نقلهُ عن الاغاني ١٣ : ٦)

وقد اضربنا عن ذكر الواقعة الشهيرة بخصوص بيع ولاية البيت لقُصيّ بزقّ خمر لتناقل الخلف اياها وهي انهُ لمَّا رأت خزاعة ذلك كثرت على قصيّ فاستنصر قضاعة وقومهُ النضر واستنصر خزاعة بني بدر. واقتتلوا قتالًا شديدًا فانهزمت خزاعة واجلاهم قصيّ عن البيت. هذه هي خلاصة الواقعة. — وخزاعة غير ما ذكرنا من الاخبار والاحداث وكلها منحصرة في غزوات وهجمات وسرقات مرجعها واحدٌ وان اختلفت الاسماء والاشخاص ومواطن المواقع. وقد اجتزأنا بما ذكرنا ليكون لك بمنزلة المثال تقيس عليهِ ما لم نتوهّ بهِ (ستأتي البقية)

المجوس

بقلم حضرة الاب الفاضل المنوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

في هذه الأيام اذ تذكر الكنيسة اسرار ولادة المسيح ينتقل الفكر بديهًا الى الحادث الخطير الذي جرى في تلك الغضون بمجيء اشخاص غرباء عن الشعب الاسرائيلي